أثر الصراعات والنزوح في تدني مستوى التربية القرآنية في دارفور

✍ د. محمد يوسف أحمد السنوسي (★)

المبحث الأول

أساسيات البحث

مقدمة:

تعتبر الجماعة الإنسانية إحدى الظواهر للسلوك الإنساني التنظيمي، كما أن عضوية الفرد في المنظمة الاجتماعية يعتبر المحرك الأول لسلوك الإنسان وعواطفه وأنشطته، وتتم عضويته إلى الجماعة بالعلاقات الأسرية أو الدعوة للانضمام في مجموعات والرغبة المشتركة أو العمل المشترك، وتستهدف المشاركة أو العمل في جماعة لتحقيق حاجات إنسانية معينة منها الاقتصادية كعمل النفير في الزراعة والبناء، والاجتماعية كالتعاون والمجاملة في مناسبات الأفراح والأتراح، والسلوكية كالتهاني والتبريكات، والتعليمية والتربوية كالنظم التي يتبع لها من خلال موافقته وطاعته في تنفيذ المشروع التربوي المعد للجيل المعين أو من ينشأ في القبيلة ويتعلمه ويعلمه لغيره(شنطاوي/١٩٩٢م/ص٢٣).

فالإنسان بعد أن يكون في الجماعة يعمل وفق توجيهها ويكتسب منها ويتعلم العادات والتقاليد التي تسود ذلك المجتمع ومن ثم يتربى بتربية ذلك المجتمع ويكتسب من سلوكه وأخلاقه ما يؤهله ليكون أحد عناصر المجتمع الفاعلة وذلك وفق طموحه وحاجاته التي تدعوه إلى المرتبة التي يبتغيها، وبالتالي يشعر أنها أي الجماعة تتوافق مع نظام ميوله وقيمه، ومن ثمّ يسهل تغيير المجموعة من تغير الفرد، ويكون لهذه الجماعة الإنسانية ترابطها المعين وسلوكها المحدد ونظمها المتبعة وفق إتقان تلك الميول والحاجات، كما يكون لتلك المجموعة طرق مختلفة

(★) أستاذ مساعد بكلية التربية بالجامعة .

لحل مشكلاتها في صور تتفق وقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم(هاني عبدالرحمن/٢٠٠٦م/ص٤١).

وعلى ضوء ذلك نشأت القبيلة و مجتمع دارفور وفق ضوابط والتزام شخصي تجاه لواء معين يربط الجماعة بلواء التوادد والتآلف والتآخي والتراحم، ذلك المجتمع الذي حدد اتجاه محوره لتربيته وتربية أجياله من بعده، وهي تلك التربية التي عرفها أهل السودان عن مجتمع دارفور وهي التربية القرآنية تربية اللوح والدواية ونار المسيد وبناء الخلاوى، وتراحم المجتمع الذي باع نفسه لله وكانوا أهل دين وشريعة، ولا ننسى أن ذلك المجتمع كان يكسوالكعبة المشرفة ذات يوم.

فكانت التربية القرآنية تزداد مؤسساتها يوماً بعد يوم؛ من قبل تأريخ سلطنة الفور في عهد السلطان (علي دينار) ثم ارتفعت جهود مجتمع دارفور في توسيع المؤسسات القرآنية في ظل ثور الإنقاذ التي بشرت خريجي الخلاوى بمعادلة شهاداتهم بدرجة البكالوريوس في التعليم العالي. وهذه شجعت كثيراً في انتظام مجتمع دارفور الذي كان على نعيم القرآن أصلاً.

وسرعان ما عزفت الحرب على طبول القبلية وشرور النهب والسلب وحمل السلاح في وجه المسلم الأخر، و لم تكن الحرب وليدة الصدفة، ولكن كان لها تاريخها [وبفضل الله ومن ثم جهود الحكماء في مجتمع دارفور والسلطة الحاكمة يستطيع الجميع الجلوس في طاولة المفاوضات وتُحل الأزمة التي نشبت في الأعوام الأخيرة(٢٠٠٤ ٢٠٠٨م)] و لم تجعل لمجتمع دارفور مساحة للعقل، بل اختلط الأمر تماماً، وتأزمت المشكلة وصار الصراع والتنازع سيِّد كل المواقف، وما من يوم تطلع عليه الشمس إلاّ نشب صراع بين قبيلة وأخرى.

كما أنّ المنظمات التي انضوت تحت مظلة الإغاثات والمعونات لم تزد النّار إلاّ زيتاً، ولم تطفئ شرارة أوقدت مقصودة ولعبت الدور الكبير في تدمير إنسان دارفور الذي شهد له التأريخ القديم والحديث بأنه مجتمع معافىً من الوثنية والصليبية وأنه مجتمع يُذكر في كل المجتمعات بمجتمع اللوح والقلم والدواية وهي شارة المجتمع القرآني الأصيل.

ومن ثم تأثرت أخيراً تلك التربية القرآنية تأثيراً كبيراً في تدهور واندثار تلك الخلاوى والدُور وحلقات الدروس . ثم إن المجتمع أصبح مجتمعاً نازحاً غير مستقر، ثم ظهرت فيه آثار التأثير السلبي للمنظمات الأجنبية التي تدفع بفك الارتباط

ليتوهج الصراع يوماً تلو الآخر وتذهب الأخلاق القرآنية والتربية الكريمة أدراج الرياح.

لهذا الموقف المحزن لاندثار التربية القرآنية بدارفور الأثر البالغ لتناول الباحث موضوع البحث الذي يتناول:

أثر الصراعات القبلية والنزوح في تدني التربية القرآنية في دارفور.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في الدور الذي لعبته الصراعات القبلية من أزمات ومشكلات مختلفة أدت إلى نزوح وهجرات العديد من السكان من قراهم وترك العديد من ممتلكاتهم، ومواجهة مشكلة الحرب ؛ مما ترتب عليه التنازل عن قضية التعليم والتربية القرآنية، التي جُبلت عليها شخصية إنسان دارفور[والتي تمثل المحور الأساس في حل مشكلة الصراعات] وتمثل التربية القرآنية(الخلاوى) رأس رمح التعليم في دارفور وفي بناء مجتمعه وتأثير أصحابها على المجتمع الدارفوري بصورة يمكن أن تكون ذات أثرٍ كبيرٍ في تغيير المجتمع نحو الحكمة والفضيلة و الاحتكام للعقل بعيداً عن الاندفاع والجهل. و تتمثل مشكلة البحث في التساؤل التالي:

(ما هو أثر الصراعات القبلية والنزوح في تدني التربية القرآنية في دارفور؟).

أسباب اختيار موضوع البحث: إنّ موضوع الأخلاق والقيم الإنسانية ومعرفة الله تعالى حقاً ومخافته سراً وجهراً؛ هي رأس الحكمة التي يسعى الإنسان لتحقيقها في حياته، وأن التربية القرآنية تمثل هذا المنهج القرآني الذي لا يُنكر أحد أنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه تنزيل العزيز الحكيم، وهذه التربية القرآنية سلوكية ووجدانية مرتبطة بالخالق وأن الصراعات التي نشبت لعبت دوراً كبيراً في هجر العديد من المناطق والتي بدورها أغلقت تلك الدور القرآنية ومن ثم يترتب الحال على بناء المجتمع وتغيير السلوك الإنساني من صورة قرآنية إلى أخرى.

حدود البحث: يتناول هذا البحث في موضوع الصراعات القبلية التي شهدتها ولايات دارفور ومحافظاتها المختلفة في الفترة من(٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٩م).

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في كونه يكشف عن أثر الصراعات التي لعبت دوراً في مسح معالم الدُور القرآنية ومن ثم تغيير المجتمع الدارفوري تدريجياً من مجتمع قرآني إلى مجتمع تضعف فيه معالم التربية القرآنية التي تمثل حياة البشرية.

كما أنّ هذه الدراسة توضح شيئا مهماً وهو دور المنظمات الكنسية

و(الأجنبية) عموماً في رسم خارطة حياة، تبعد كثيراً عن التربية القرآنية التي عرفها إنسان دارفور.

من ناحيةٍ أخرى توضح الدراسة المظهر التربوي اليوم الذي يظهر به مجتمع دارفور بعد غياب تلك الدور والخلاوى ونظم بناء الأطفال أو الناشئة الغزو الفكري المقصود لمجتمع دارفور عبر ما يسمى بالمنظمات الأجنبية بشتى مسمياتها وأغراضها.

يمكن أن يعالج البحث مشكلة التربية والفكر الجديد لإنسان دارفور، وبصورة تحد من البرنامج المرسوم عبر المنظمات الأجنبية اليوم، مما يساهم في توقع تطابق أو تماثل بين التربية القديمة ومدخلات التربية الحديثة بعد عمليات الصراع والنزاع وآثار النزوح وانعدام دُور القرآن.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

١. التعرف على نظم التربية ومعيناتها سابقاً ودراسة تلك النظم مقارنةً بالتطورات التي حدثت مؤخراً في مجتمع دارفور.
٢. التعرف على أسباب تدني مستوى التربية القرآنية المباشرة وغير المباشرة.
٣. التعرف على دور المنظمات الكنسية وتأثيرها في مجتمع دارفور.
٤. التعرف على دور القبلية في توجيه وإرشاد المجتمع لإحياء ما اندثر من قيم ومعاملات.
٥. التعرف على الإحصاءات القديمة لدُورالقرآن التي كانت تعج بطلابها وتقوم بالتربية القرآنية من عدد الخلاوى التي تقوم بدور التربية اليوم.

فروض البحث:

١. ضعف نفوذ الإدارات الأهلية، في مجتمع دارفور لبسط سياسة الاستقرار وضمان استمرارية التربية القرآنية أدى إلى ضعف مستوى التربية.
٢. عملت المنظمات الأجنبية، بدارفور على تدهور التربية القرآنية.
٣. تأثير الفضائيات على إنسان دارفور النازح بعد الصراعات.

مصطلحات البحث:

- دارفور: يعني بها حدود ولاية دارفور الكبرى التي تمثل الحدود الجغرافية الكبيرة التي تشمل جنوب وشمال وغرب دارفور.
- التربية القرآنية: يعنى بها التربية التي تقوم على منهج القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والتي يتلقاها المتعلم في الخلاوى ودور المؤمنات

والخلاوي الخاصة في بيوت ما يسمى بالفكي أي الفقيه-.

- النزوح: نعني به حركة المواطنين الإجبارية نحو المدن الكبرى بعد مواجهة المشكلات التي ألمت بقراهم وفقدان ممتلكاتهم وأموالهم.

المبحث الثاني

(الإطار النظري)

ويشتمل على:

- مفهوم التعليم الديني (التربية القرآنية).
- التربية القرآنية في دارفور.
- الإدارة الأهلية أو القبلية في دارفور.
- الإدارة الأهلية، في دارفور والصراع القبلي.
- دور الإدارة الأهلية في تطوير التربية القرآنية في دارفور.
- الإدارة الأهلية والتغيير المفاجئ.
- تأثيرات المنظمات الأجنبية على التربية القرآنية في دارفور.
- التربية القرآنية بعد الصراعات والنزوح في دارفور.

التعليم الديني(التربية القرآنية) : نعني بالتعليم الديني أو التربية القرآنية تلك الدراسة التي تقوم على تربية القرآن الكريم وتعاليمه. إنّ الخلوة هي مكان العبادة وهي الفرقة التي تخصص لتعليم الصبيان. وهناك عدة مؤشرات لقيام وانتشار الخلاوى نوجزها فيما يأتي(الطيب محمد أحمد/١٩٩٩م/ص١٢):-

(١) ذكر ود ضيف الله أنه عندما توفي عبد الرحمن بن جابر جلس أخوه في خلوته من بعده، والمعروف أن أولاد جابر الثلاثة متقاربون في أعمارهم ودرسوا على يد الشيخ البنوقر(٩٩٨هـ ١٥٩م) وإن ود ضيف الله يستعمل كلمتي مسجد وخلوة في كلٍ، إلا إنه يدل على انتشار الخلاوى في ذلك الوقت.

(٢) يرجع يوسف فضل أن الخلاوى عرفت للدلالة على مكان العلم إذ جمع المعلمون بين التصوف وتدريس علم الظاهر وصارت المساجد مسرحاً لنشاطاتهم التعليمية والتعبدية، وبعد أن طغت الصبغة الصوفية على الثقافة الإسلامية في السودان صارت الخلوة أكثر الأسماء استعمالاً ودلالةً على معهد القرآن الكريم أو التعليم.

(٣) ربط عوض سائر بين خلوة التعبد والخلوة للدلالة على معهد التعليم، فإنّ كثيراً من الزهاد والفقهاء الذين ينقطعون للعبادة والإرشاد تعودوا على الانفراد في حجرات خاصة في منازلهم فإذا خرجوا من خلواتهم جعلوا منها مدرسة وأطلقوا عليها اسم الخلوة فيما بعد.

ففي النصف الثاني من القرن العاشر الهجري ظهر التعليم في الخلاوى، وأن فترة حكم الشيخ عجيب المانجلك(١٥٧٠ ١٦١١م) هي نفسها فترة قيام نظام التعليم في الخلاوى(الطيب محمد أحمد/١٩٩٩م/ص١٣).

التربية القرآنية في دارفور: شهدت دارفور نشأة التعليم القرآني أو التربية القرآنية منذ دخول الإسلام وانتشاره بدارفور اعتباراً من القرن الثالث عشر الميلادي وتلك هي فترة دخول القبائل العربية المسلمة إلى سلطة دارفور وأصبح الإسلام الدين الرسمي في عهد سلاطينها ومن أشهر ملوك دارفور الذين شجعوا حركة بناء المساجد والخلاوى السلطان (تيراب) ١٨٧٥م، يقال أنه بنى تسعة وتسعين جامعاً وجلب العلماء من الأزهر وتونس، كانت أشهر خلاوى المهاجرين في هذه الفترة خلاوى (طرة) و(شوبا) وخلاوى (طينة) و(كوبى) وخلاوى (الفاشر)، ويكون مشايخ هذه الخلاوى أئمة متفقهين في الدين. كما توجد خلوة الفكي (غرباوي الجامعي) بقرية (كريو) التي تعلّم فيها السلطان عبد الرحمن الرشيد، وخلوة (طرة سلاطين) وخلوة(جديد السيل) بشمال دارفور(الطاهر حاج/٢٠٠٠م/ص١٧).

كانت نشأة التعليم في خلاوى دارفور كغيره من الخلاوى في السودان إذ قام التعليم في الخلوة على نظام ومراحل لا يمكن للتلميذ أن يتجاوزها إلاّ بترتيب معين، وتعتبر كل مرحلة قائمة بذاتها تؤهل التلميذ بنوع من التعليم يلبي احتياجاته الدينية والدنيوية، فالطالب الذي يريد أن يتعلم قراءة القرآن الكريم والكتابة وحفظ القرآن الكريم يكتفي بالمرحلة الأولى التي تسمى (نار القرآن).

أما الذي يريد أن يواصل تعليمه ويتقنه بعد إكمال المرحلة الأولى فيتوجه إلى مسجدٍ من المساجد أو خلوةٍ من الخلاوى التي تدرس علوم الفقه والتوحيد وعلوم

القرآن الكريم واللغة العربية، وهذه المرحلة دارفور تكاد تكون معدومة أو غير متوافرة في خلاوي دار فور لذلك نجد طلاب خلاوي دار فور بعد المرحلة الأولى يتوجهون إلى خلاوى كردفان وشرق السودان وولاية الخرطوم(خلاوى الفادني، أم ضواً بان) أو إلى الشمالية. حيث تتوافر الخلاوى التي يجدون بها العلم الذي يرضي طموحاتهم(الطاهر حاج/٢٠٠٠م/ص١٨)..

الإدارة أو القبيلة في دارفور: ظل النظام القبلي والأهلي في السودان يستمد وجوده وأصالته من الواقع الذي يشكل حياة المجتمعات وفق المقومات الاجتماعية، والحضارية، والثقافية، والبيئية، والاقتصادية، منذ القدم وقد شكل مفهوم الزعامة العشائرية كنظام اجتماعي وحدته الإدارية والتنظيمية، كما أن الوحدة الإدارية والتنظيمية سبقت الأنظمة الإدارية الحديثة وخاصة في داخل المجتمعات التقليدية البدوية منها والريفية المستقرة. فممالك الفونج والعبدلاب وسلطنة الفور والمسبعات والزاندي والشلك كلها قامت على الكيانات القبلية وتطورت بمرور الأحداث إلى وحدات محلية للحكم المركزي فيما بعد(التجاني مصطفى/١٩٩٨/ص١٠).

وعلى ضوء ذلك فإنّ ممالك الفور والداجو والتُنْجُر هي إحدى تلك الممالك التي بنيت كوحدات إدارية نمت من داخله النظم الإدارية والأهلية التي تكمل منظومة الحكم في تلك الممالك والدويلات. وأن المستعمر قام باستخدام الوجود المؤثر للإدارة الأهلية وسخَّرَ مقوماتها بل استخدمها كنظام للإدارة غير المباشرة، ودليل الأصالة في هذا التكوين الاجتماعي أن خصائصه البيئية والنفسية والتأريخية ظلت موجودة وماثلة حتى بعد تصفيته ظل النظام الإداري الأهلي في دارفور أحد الأنظمة الإدارية والأهلية في السودان مواكباً للأنظمة السياسية، وقد وضح جلياً في العهد الوطني بعيد استقلال السودان، واستطاع النظام الأهلي أن يحتفظ بخصائصه المميزة ذات الإطارين(السياسي والأهلي) وتعتبر هذه الأطر الرابط الأساس العميق الذي يؤثر بصورة متكاملة في حياة الأفراد والجماعات. فقد برع زعماء العشائر بمختلف ألوان الطيف السياسي التي ينتمون إليها أن يكون انتماءهم مجازياً في حالة التعددية الحزبية ومراوغين حذرين وواقعيين في حالة الأنظمة الشمولية تفادياً لأي صدام. فقد ظلت القبيلة بهذا الفهم وقادتها هي العمود الفقري في ريف السودان كما مثلت الوسيط في توصيل تيارات الحكم أياً كان نوعه خاصةً في المجالات الأمنية والضريبية والإدارية لأجهزة الدولة الديوانية(صلاح عبدالحميد/١٩٩٩م/ص٢٧).

بقيت القبيلة كوحدة اجتماعية؛ لأنَّ تركيبتها عبارة عن مجموعة من أعراف

تحكم علاقات الأفراد بعضهم البعض وصارت وحدة إدارة بقدر امتثال أفرادها للعرف ودقة قادتها في تطبيقاتهم له حيث يتم بالمرونة حسب المواقف، فأصبح العرف بذلك عبارة عن أسس التعامل المبنية على نسيج العلاقات الإنسانية المتشابكة. وبذلك تثبت للإدارة السيطرة التامة على القبيلة، بالتالي تؤكد الإدارة الأهلية نوع النظم الإدارية والسياسية الاجتماعية والتربوية في المجتمع أو مجتمع القبيلة ومن نظم التربية المفروضة تسود الروح التي يعيشها المجتمع(محمد يوسف/٢٠٠٨م/ص٩).

الإدارة الأهلية في دارفور والصراع القبلي: يعيش أهل دارفور في سلام ومحبة ووئام تجمع بينهم العلاقات الطيبة ولم تكن القبيلة مصدر أنفة وتفاخر غير موضوعي . فكانوا على الفطرة الإنسانية ، متحابين ومتداخلين مع بعضهم البعض. حاربوا الإنجليز بجميع قبائلهم دعماً لإخوانهم في عهد المهدية وخلافتها وقاوموا الإنجليز بقيادة السلطان علي دينار، وقاتلوا الفرنسيين بقيادة السلطان تاج الدين، فكانت صورة أهل دارفور نسيجاً متماسكاً يوضح البنيان الواحد الذي يشد بعضه بعضاً ويبين صورة الجسم الواحد الذي إذا اشتكى منه عضواً تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. فهذا الترابط لم يكن مميزاً عن بعضه البعض بل كان مجتمع رعاة مع مجتمع مزارعين. ولم يكن بينهم من يحس بالظلم ولا الفوارق الاجتماعية كما هو اليوم. وكانوا يعالجون مشاكل القتل بالديات (والرواكيب). وما يحدث من تعدي بعض رعاتهم على مزارع غيرهم يعالج بالأجاويد، وتقديرات التلف والتسويات تتم عند حكيمهم وهو الشيخ أو إمام القرية وإذا ما استعصى الأمر رُفع إلى العمدة وهذا يعني أمراً كبيراً(إيدام عبدالرحمن/٢٠٠١م/ص١٦).

وعلى هذه الشاكلة كانت الإدارة الأهلية تأخذ أنماط الإدارة الموفقة الجديرة بقيادة المجتمع في دارفور وجعلت من أهل دارفور أخوة في الله شعوباً وقبائل متعارفين متجانسين متحابين متسابقين إلى فعل الخيرات حيث إن للإدارة الأهلية المواقف التالية(آدم الزين/١٩٩٨م/ص٢٥):

١. الإدارة الأهلية لها الكلمة النهائية وهي الموجه للقبائل ولها الهيبة.
٢. احترام الناس للأعراف والعادات وتمسكهم الشديد بها.
٣. لم يعرف الناس على نمط التعدي والسلب والنهب بالصورة المفزعة هذه من قبل.
٤. احترام الناس للقوانين والنظم المتعارف عليها.
٥. (الحاكورة) لها حرمتها، والجميع فيها سواسية في الحقوق والواجبات

والحركة، داخل (الحواكير) كانت منظمة بضوابط تعارف عليها الناس خاصة في بداية أو نهاية الموسم الزراعي.

٦. لا توجد معاناة لفهم أو مفهوم الأرض من حيث استغلالها والعيش عليها والانتفاع بمقدراتها.

٧. احترام القبائل لبعضها بعضاً بدرجة عالية من الواقعية والصدق بالرغم من قلة المتعلمين والمثقفين وضيق فرص التعليم ورفض بعض القبائل للتعليم المدرسي المنظم.

٨. لا توجد أية معاناة للراعي من مشكلات الرعي للظروف الطبيعية الجيدة ولا يوجد رعي جائر ولا يمارس القطع الجائر للأشجار.

٩. التصاهر كان سمة تعارفت عليها القبائل وخاصة بين رجال الإدارة.

١٠. الراعي؛ مخزونه وأمنه الغذائي عند المزارع المستقر بينما ودائع الزارع في ذمة الراعي.

١١. الإحساس العالي بجريمة القتل. وبعضهم ما كان يأكل مع فاعلها طعاماً قط.

يوضح الباحث من خلال هذه المحاور الصورة الحقيقية للتربية القرآنية للمجتمع والتي كان يلتزم بها الصغير والكبير والشريف والوضيع والحاكم والمحكوم حيث إن للنظم الدينية سيادة لدى مجتمع دارفور. وكانت نمطاً أو نموذجاً مثالياً لحسن التعامل بين بعضهم البعض. وبين التخصصات والمهن البسيطة المختلفة، وهذا ينتج من الآثار التربوية القرآنية التي استلهمتها الأجيال جيلاً عن جيل، وتمرنت عليها وارتضها نموذجاً مثالياً حفظ للمجتمع في دارفور معاني وقيم ما زالت عند بعضهم تاجاً يزينهم بين أفراد المجتمع.

دور الإدارة الأهلية في تطوير التربية القرآنية في دارفور: إن الإدارة الأهلية عبَّرت عن كونها وسيلة مهمة لتنظيم الجهود والجماعة من أجل بناء المجتمع الإنساني بناية شاملة ومتكاملة ومتوازنة حسب ظروف البيئة التي يعيشون فيها بعيداً عن اتباع الهوى والميول والإغراءات الزائفة. حباً في أمن المجتمع وعدله وإنصافه ليعيش في البوتقة الاجتماعية التي ترسم المستقبل الواعد والحياة الكريمة.

فأصبحت الإدارة الأهلية بفضل الحنكة والدراية وحسن السياسة قادرة على تنسيق وترتيب العديد من ضروب النشاط الاجتماعي، وتنفيذ العديد من الأعمال المختلفة ، بواسطة آخرين من أفراد المجتمع المعين، عن طريق تخطيط وتنظيم وتوجيه ورقابة مجوداتهم لتنظيم الإمكانات البشرية والمادية في المجتمع وذلك في

سبيل خدمة أهدافه وترقية سلوك أفراده على المنهج المتفق عليه أو متوازن جيل عن جيل . فهذا التنظيم والدقة جعل من الإدارة الأهلية القدرة على تمثيل جسم كبير يستطيع ترتيب حياة الناس وحل جميع مشكلاتهم دون أي إحساس بتظلم أو أي أدنى تقصير يمكن أن يشار إليه(فريد راغب/١٩٩٧م/ص٥٨).

حيث أنها تنظيم أمنى، إجتماعى، سياسي، تربوي، وإقتصادى. وهذا التنظيم الأخير تقوم به الإدارة الاهليه خير قيام لأنه يمثل الوجود الحقيقي والاستقرار الدائم لكيان القبيلة، أو المجتمع يختلف مستوياته، فأصبحت الإدارة الأهلية، تخدم التربية القرآنية، بخدمتها لمعلمي القرآن وطلاب القرآن .

أولا: (معلمو القرآن(الشيوخ):

تقوم الإدارة الأهلية في أي موقع في دارفور بتولي شؤون شيخ القرآن الكريم أو شيوخ القرآن الكريم. وتعمل على تكريم شيوخ القرآن وتقديم كل سبل الراحة والخدمة لهم من مأكل ومشرب وملبس وهذه أبسط الخدمات التي تقدم لهم، كما تقوم القرية بإنشاء(بيت الفكي) وهناك من هم موكلون بإحضار المياه(مياه الشرب) له ورعي أغنامه وزراعة أرضه بواسطة(النفير). حيث يقوم النفير بزراعة الأرض ونظافتها ومراجعتها وحصادها دون أن يكلف الفكي أو أن يترك مهمة تدريس القرآن الكريم والوعظ والإرشاد. وعليه فإن تقديم كل الخدمات المتوفرة والممكنة لمعلم القرآن الكريم خدمة لما يقوم به هذا المعلم(الشيخ أو الفكي) من تنفيذ لمنهج التربية القرآنية التي ترمى إليه حاجة المجتمع الدارفورى(الطاهر حاج النور/٢٠٠٨م/ص٢١).

ثانياً: تلميذ الخلوة:

تختلف سن الخلوة أو دراسة القرآن الكريم وعلومه في خلاوي دارفور ودور المؤمنات التي تدرس بها الفتيات.كما أن هناك حلقات بالبيوت تكون للنساء المتزوجات وكبار السن. وتتمثل الخدمة الملقاة على عاتق الإدارة الأهلية في تجهيز الخلوة وبنائها بواسطة نفير من الرجال من المنطقة المعينة. وتجهيزها بكل الخدمات وسبل الراحة حسب الإمكانات المتاحة وبيئة المنطقة. كما ترعى الإدارة الأهلية جانب التمويل للبرامج المصاحبة لطلاب القرآن الكريم وعلومه و للنشاطات التي تقوم بها الخلوة (السبع، الشرافة، الختمة) وهى تختلف باختلاف درجة حفاظ القرآن ودرجة نشاط الخلوة. كما أن هناك البرامج الثقافية التي تقدمها الخلوة أثناء المناسبات والأعياد، فتقوم الإدارة الأهلية بتبني ودعم المشروعات وتنفيذها بصورة تليق ومقام الإدارة الأهلية، ومن يشرف هذه البرامج من ضيوف . كما أن الإدارة

بجانب دعم ورعاية الخلوة رعاية تامة تقوم بعض الإدارات الأهلية بشراء كسوة العيد لطلاب الخلوة وطلاب المؤسسات القرآنية، وذلك حسب رؤية العمدة أو الشيخ وإمكانات الإدارة الأهلية من بلد إلى لآخر. وعليه عملت الإدارة الأهلية في فترة شبابها وسيطرتها الحقيقية قبل التحرشات والإنفلات الإداري لها على تقديم كلما يمكن لتيار مجتمع دارفور والعمل الجاد في إخراج مجتمع تربوي قرآني متمسك بكل القيم والأخلاق القرآنية . وهذا قليل من كثير في دور الإدارة الأهلية في تحقيق وبناء مجتمع قرآني فاضل، حيث لا ننسى جهودها في توسيع الخلاوى وزيادة المؤسسات التربوية بعد عام ١٩٩٠ والتي ظهرت واضحة في الفارق الرقمي بين ما كان قبل سنة ١٩٩٠ وبين ما تم بعدها حيث بلغت جملة المؤسسات (١١٧٧)من خلوة إلى دور. بينما بعد العام ١٩٩٠ و الدولة تسعى نحو بناء مجتمع قرآني ومتدين إذ إن الإدارات الأهلية المختلفة استجابت لهذا الشعار الذي كان هدفاً أساسيا في مجتمع دارفور حيث ارتفعت عدد الخلاوى و الدور إلى (٢٠٥٧).

وهذا يؤكد دور الإدارة الأهلية وسيطرتها التامة في إمكانية تقديم أكبر درجات التطور والنمو الرأسي والأفقي لدور التعليم القرآني وبسط التربية القرآنية على مجتمع دارفور(محمد يوسف/٢٠٠٨م/ص١١).

الإدارة الأهلية والتغيير المفاجئ في دارفور:

مع مرور الزمن تحدث بعض التغيرات على المجتمع والقيم بسبب الصراع والنزوح حيث(أحمد إسحق/٢٠٠٤م/ص١٤):

١. الشعور بالظلم السياسي عند النازحين برزت معه أجندة قبلية خفية تتحدث عن الأرض والحاكورة.
٢. تفكك المجتمع واكتفى الكل بالقبيلة ومن ثم أصبحت فخراً.
٣. ضعف الوازع الديني في وسط المجتمع، حيث لا توجد خلوة ولا دروس ولا وعظ يحي قلوب الناس عما دخلهم من أنماط الجهل والجاهلية.
٤. ظهرت قيادات لإدارات أهلية جديدة من داخل المعسكرات متمثلة في شيوخ المعسكرات أفقدت الثقة في الإدارات الأهلية الموجودة أصلاً وبدأت تعبر عن نفسها من داخل المعسكرات بأجندة جديدة.
٥. فقد الثقة في هياكل الإدارة الأهلية باعتبارها جسماً متعاطفاً مع الحكومة ينفذ أجندة الدولة وليس لصالح النازح بل لأغراض سياسية أخلت بالبعد الإنساني في المعسكرات، وتأتي هذه الخطوة بعد أن اختفى الوازع الديني وانتهى دور الخلوة. وصارت الإدارة الاهليه القديمة مصدر الاتهام الأول في ما يحدث.

٦. هيمنت مشاعر الخوف والهلع كل أطراف النازحين ـ العامل النفسي ـ بدلاً عن الأمر التربوي القرآني الذي تؤول إليه الأمور.
٧. ذوبان قرى النازحين التي أصبحت أطلالاً، وكانت هذه القرى قبل النزوح تستمد وجودها وقانونها من أصالة قيم ومبادئ وأحكام الأعراف القبلية التي يصعب الآن ترميمها.

ومن ثم كيف تعود التربية القرآنية لبناء هذا الضمير الذي عمِلت فيه معاول الهدم والدمار وانعدام الثقة. فصار الآن السؤال من أي قبيلة أنت؟ هل لنا معها ثأر أم لا؟ وبذلك انقطعت العلاقة الاجتماعية بجانب العلاقات التي مسحتها الحرب عن خارطة الوجود المجتمعي في دارفور.

ويصبح السؤال ألم يكن بين هذه القبيلة وأفرادها شخص أو فرد يكون من حملة القرآن الكريم، أو من فقهاء القبيلة؟ بالتأكيد إنهم موجودون ومن الاستحالة أن لا يكون هنالك شخص في أي قبيلة من قبائل دارفور لا يحفظ القرآن الكريم أو ليس درس ـ على يد شيخٍ ـ الفقه والتوحيد. بل هم موجودون بكثرة ويتبارون فيما بينهم وبين القبائل الأخرى أيام كانت خارطة التربية القرآنية هي هدفهم ورشدهم.

وبهذه الصورة نطوي الصفحة التي ميزتها القيم والقوانين السماوية والتي عرفها إنسان دارفور منذ أمدٍ بعيد لتحل محلها صفحة ثانية ذات طابع يختلف عن الأولى قيماً ومقداراً.

وعند هذا الخلط الذي شق عصا الإدارة الأهلية التقليدية بعد النزوح والصراع تأثرت الإدارة الأهلية بوجود الأعداد الكبيرة من النازحين بالمعسكرات التي كانت تضمهم قرى آمنة يحكمها الشيخ أو العمدة تحت سيطرة التربية القرآنية التي عمت كل البيوت بصوت السمع والطاعة فيما يرضي الله ورسوله.

أما الآن فأصبح صوت المعسكر الذي يمثل مركز الإيواء لعديد من الأفراد والذي يعتمد النازحين فيه فقط على المعونات والمساعدات من قِبل منظمات العمل الطوعي والإنساني إقليميةً كانت أم دولية.

ومن ثم تأثرت الإدارة الأهلية مصدر زمام المجتمع وتربيته في دارفور- من خلال وجود النازحين في المعسكرات بظاهرة التكتل النوعي والذي يمكن أن نطلق عليه "الجماعة اللغوية" ويلاحظ وجود تداخل غير عادي في ألفاظ النازحين مما نتج عنه وجود توسع ثقافي ولغوي رافض لأجندة السياسة الراهنة مما أدى إلى تباعد الصلة والتعامل بين معايير الإدارة الأهلية ورفض شيوخ المعسكرات في المشاركة في أطروحات مفاوضات مؤتمرات الصلح المحلية والإقليمية(إبراهيم

حسن/٢٠٠٦م).

وهذا الانتقال يوضح درجة التخلي عن التربية القرآنية ونمو النزاعات الشيطانية في نفوس المجتمع المربى بأخلاق القرآن الكريم والأعراف المثالية، و الذي كان لا يعرف الفوارق، ولا يعرف الاستجابة لأنواع الفتن والقتل والثأر وأنماط النهب والسلب المفزعة. بل كان يعرف النصرة في حالة الظلم والمظالم أو التظلم. بحيث كان لسان حاله ـ في كلتا الحالتين ـ يلفظ لا بد أن ننتصر. دون التردد في كيف ولماذا وفي ماذا؟

ومن ناحية أخرى تلاشت هيبة القرى والتي كانت تمثل القاعدة الجماهيرية للمجتمع القبلي في الريف حيث انتهت محاكم الأرياف التقليدية في المناطق المتأثرة بالنزوح وبذلك لا وجود للأجاويد ولا سلطان حكيم ولا فقيه ومن ثم نشب سلطان العنف والثأر.

وبعد حكم الثأر والعنف أصبح يظل جميع المعسكرات وما حوت من نفوس كانت رشيدة تحت سيادة إنسانية رفيعة التربية، وبالتالي أصيبت قيادة الإدارة الأهلية في المدن بالحيرة في التوافق بين مجتمع المعسكرات عند التواصل أو التغيير لبعض المفاهيم التي تسعى لنشر ثقافة السلام أو لإزالة الغبن الذي يسيطر على مفاهيم المجتمعات بالمعسكرات.

تأثير المنظمات الأجنبية على التربية القرآنية في دارفور:

بعد ظهور حركة التمرد كبديل للقتال القبلي بدأت الحكومة جادة في إيجاد طريقة لحل المشكلة الدارفورية فبدأت بملتقى الفاشر في فبراير ٢٠٠٣م، ومبادرة المجموعة القومية لسلام دارفور ٢٠٠٣م، ومبادرة الناظر أحمد السماني لقيام مؤتمر لحل النزاعات بدارفور بمحلية تلس في فبراير ٢٠٠٤م، و مبادرة حزب المؤتمر الوطني بنيالا(مارس أبريل٢٠٠٤م)، و مبادرة حزب المؤتمر الشعبي في فبراير ٢٠٠٤م، ومبادرة حزب الأمة القومي المكتوبة إلى رئاسة الجمهورية في عام ٢٠٠٤م. ولكن لم تستطع هذه المبادرات أن تصل إلى حل لقضية دارفور لتتمسك الحركة المتمردة برأيها وعدم استجابتها ورفضت كل القبول بأي طرح وظلت متمسكة برأيها بل سلكت طريقاً آخر طريق التدويل دون دراسة أو رأي(أحمد إسحق/٢٠٠٤م/ص٢٠).

لم ترع هذه الحركات حقوق المواطن وضياع أجيال من وراء ويلات الحرب والتدويل حيث سلكت الطريق الشائك وأفقدت الأطفال استقرار تعليمهم في المستويات المختلفة وفتحت على الجيل النازح ـ بويلات الحرب ـ دنيا الفضائيات

والأخلاق الفاسدة بعيداً عن قيم التربية الروحية والأدب الرفيع. إذ إن من وراء هذا التدويل تلك المنظمات الأجنبية العاملة في دارفور، وإن ما تبديه هذه المنظمات من تعاطف مع إنسان دارفور ليس مقصوداً لذاته بل لتحقيق أجندة خفية خاصة بها. فمثلاً ألمانيا مثلت قاعدة الانطلاق الأولى للمتمردين في دارفور فاحتضنت مؤتمر برلين حول المناطق المهمشة في أبريل ٢٠٠٣م، وبهذا دخلت ألمانيا خط الصراع فأصبحت هي مسرح الندوات والنداءات. ومن ثم بدا إعلام التمرد ليخرج الأطفال والصبيان بوازع القربى القبلية وتعمد الجهل أن ينخرطوا في المليشيات دون تعليمهم ورفع كفاية تدريبهم حتى يمكن استيعاب أولئك الأطفال في برامج وفق النظم التربوية للمؤسسات الإسلامية(الخلوة والمسجد) للحد من أزمة الصراع وشدة العنف القبلي ولكن كانت المنظمات الدولية تعمل جاهدة لتخرج النشء من النور إلى الظلمات بإذن طاغوتها الطامع وإشعال الفتن(عثمان حسين/٢٠٠٧م/ص٣١) ومن ناحية أخرى لم تكتف ألمانيا بدعم متمردي دارفور، بل تقود قضايا دارفور دهاليز الاتحاد الأوروبي وتدعو بتعيين وصي لحقوق الإنسان بالسودان. كما دخلت بريطانيا وفرنسا وهولندا على خط الصراع في دارفور، دخل الاتحاد الأوروبي باكراً في حلبة الصراع في دارفور وولج للمأساة من بابها الإنساني، ودعا مجموعة من منظمات الإغاثة التي ليست لها أكثر من الشغل السياسي للغرب، وعلى الرغم من أن البعض يرى أن المنظمات قدمت خدمات جليلة في مجال العمل الإغاثي ولكنها كانت على الدوام مصدراً لمعلومات مشكوك في صحتها وتتبنى موقفاً معادياً للحكومة بالحق أو بالباطل(أحمد إسحق/٢٠٠٤م/ص٣١).

ثم إن هذه المنظمات تقوم ببرامج ثقافة فكرية داخل المعسكرات جعلت من إنسان دارفور المسالم المسلم التقي جعلت منه إنساناً خلاف الوصف القرآني التربوي تماماً إذ لا يأمن الفرد غير ذوي القبيلة المعينة دخول المعسكر المعين، وبدل أن يكرس الجهد كصورته الأولى في تعليم القرآن الكريم ومدارسته وعلومه لتبقى الإنسانية المثالية. انتهى الأمر أن درجت كل الخلاوى و الدور وحلقات البيوت إلى معسكر فكري جانح للعداء ليس إلاّ. ومن أمثلة ذلك خروج مجموعة من الصبيان من معسكرات النزوح إلى معسكرات التدريب داخل وخارج السودان بغية الرد وأخذ الثأر بحق أو بدون حق.

وبالتالي فإنّ المنظمات الأجنبية أبعدت مجتمع دارفور عن كل سماته وأخلاقه التي جبل عليها، وغيرت ببرامجها الفكرية الداعية إلى الانحلال والسفور داخل المعسكرات، تغير حال الشباب من شباب محترم آمن لنفسه بقرآنه وآمن

لغيره بسلوكه وتصرفاته إلى شباب جانح للرذيلة وإلى النهب وإثارة الرعب في نفوس المواطنين. وبعد أن توصلت المنظمات الأجنبية إلى هذه الحقيقة هي الآن تجور بالشكوى من انفراط عقد الأمن في دارفور. ثم يغادر القائم بالأعمال الأمريكي(قالوشي) إلى أمريكا ليقدم إفادة أمام "الكنغرس" حول ما يجري في دارفور. ومن ثم تعمل أمريكا جاهدة على استلام ملف دارفور وتجتهد مع عملائها في إصدار ما يسمى بمحكمة الجنايات الدولية لتهديد السودان بما يفعله وكلاؤها، علماً بأن ما تفعله أمريكا ليس حباً في إنسان دارفور الذي تدعي أن مجازر ترتكب في حقه وتطهيراً عرقياً يتم بشأنه.

وبدأ السم يدب في أطفال وصبيان دارفور ذلك الجيل القادم ليترك وراءه تربية قرآنية كانت تبدأ معه من طفولته وتنتهي به شيخاً عظيماً يلتف حوله مريدوه يعلمهم القرآن الكريم وعلومه ويكون ناجحاً في الدنيا والآخرة لقوله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

التربية القرآنية بعد الصراعات والنزوح في دارفور:

بعد أن ظلت دارفور آمنة لفترت طويلة من الزمان ترتبط بعلاقاتها التجارية مع معظم دول الجوار حيث كانت تجارة العاج وريش النعام والعسل والأبنوس والجلود والصمغ العربي.

إلى أن حدثت الصراعات القبليةوالتي هي صدام بين جماعات. وهي حالة تناقض السلم . والسلوك الذي يعتبر جريمة في حالة السلم لا يعتبر جريمة في حالة الحرب ومن ثم تكمن خطورة المشكلة(إيدام/٢٠٠١م/ص٥).

فإن المجتمع الذي أَلِف المنهج الرباني وشاعت أنواره بين المجتمعات يلفظ اللوح والقرآن والتقابة والمسيد والفكي و الوادي وهو الفرد الذي أكمل القرآن الكريم من البقرة إلى الناس ثم في مرحلة العودة لتحقيق الحفظ - وأم بدي أي مبتدئ القرآن وغيرها من الألفاظ والمسميات، والروح التي ربطت المجتمع بالمحبة والإخاء في الله والتعاون الجماعي في زمن الزراعة والحصاد(النفير) وفي تشييد البيوت بغض النظر عن بيت الشيخ أو العمدة أو السلطان أو بيت الفكي حملة القرآن أو شيوخ الخلاوى، فكانت القبائل تنتمي إلى رب واحد، وسلطان واحد، وحكم واحد(هو القرآن الكريم) وكانت تنتمي إليه انتماءً حقيقياً قلّ ما تجد الشواذ من أصحاب المشكلات كالنهب والقتلة والظلمة وأولئك الذين يرعون في زراعة بعض الأشخاص.

ولكن سرعان ما كان الأمر متحولاً في دارفور عقب الصراع القبلي وتفشي القبن بين أفراد القبيلة الواحدة بغض النظر عن القبيلة والأخرى وهذه الصراعات القبلية بدارفور كانت نتيجة لاختلاف الأمزجة وتعارض المصالح وتنافر الأشخاص وطغيان الأنانية، وحب الذات، وكل ذلك نتيجة لاحتكاكات وتفاعلات اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية في ظل غياب سيادة التربية القرآنية والروح التي عرفت جريمة القتل إليها سبيلاً ولم تعرف يوماً أن تخون الأمانة المكلفة بحفظها، فسرعان ما ضمرت بذرة التربية القرآنية وضعفت أمام موجة الجاهلية القادمة عبر تحرشات المأجورين والمنظمات الأجنبية التي تعمل على سياسة التفرقة، ومن ثم استفحلت الصراعات القبلية بدارفور من نزاعات فردية مسلحة إلى صراعات قبلية يروح ضحيتها مئات الجرحى والقتلى.

وأصبحت تلك المؤسسات القرآنية(الخلاوى، والدور، وحلقات الفقه في المنازل، ودروس المساجد) تقل تدريجياً إلى أن وصلت درجة العدم في بعض المناطق واندرج الصبيان والشباب في ركب المعسكرات التي تطرح الفكر المسموم الممزوج برائحة الإغاثة والعون الإنساني المدعى. لطرح التربية القرآنية عرض الحائط، وتصبح جريمة المعسكرات الاجتماعية والأخلاقية تتفاقم يوماً بعد الآخر.

ومن المشاهد التي وقف عليها الباحث بنفسه عندما تأزمت مشكلة الصبيان الأخلاقية داخل المعسكرات قامت جماعة من الآمرين بالمعروف في توجيه دروس مراجعة وتذكير لشباب المعسكرات عما يفعلونه داخل صالات الرقص الليلي والأفلام الخليعة التي جلبتها المنظمات بغرض ترويح الأطفال وإخراجهم من الكبت والصراع النفسي وآثار النزوح والحرب كما يزعمون، فقامت مجموعة من الشباب بالمعسكر بمدينة زالنجي برشق الدعاة بالحجارة والشتم البذئ مرتدين على صدورهم الصليب إشارةً إلى المكايدة والعناد.

المبحث الثالث

الإجراءات الميدانية

منهج البحث: اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على الإحصاءات والبيانات الميدانية.

مجتمع البحث: يمثل مجتمع هذا البحث مجموعة من الإحصاءات المبينة لعدد الدور، والخلاوى، وحلقات تدريس النساء، ودروس المساجد، كمسح عام يشمل ولايات دارفور الثلاث كماهي مبينة على الجداول التالية:
إحصاءات مجتمع الخلاوى، والدور، والبيوتات، ودروس المساجد، والخلاوى الكبيرة المضيفة لطلاب العلم بدارفور قبل العام ١٩٩٠م:

الولاية	عدد الخلاوى	عدد الدور	عدد البيوتات الخاصة	دروس المساجد	الجملة
غرب دارفور	١٩٦	٤٣	١١	٥٣	٣٠٣
جنوب دارفور	٢١٣	٨١	٣٨	٨٦	٤١٨
شمال دارفور	٢٩٨	٩٩	٥٤	١٠٥	٥٥٦
الجملة	٦٠٧	٢٢٣	١٠٣	٢٤٤	١١٧٧

(جدول رقم(١) يوضح بيانات إحصائية للخلاوى والدور قبل العام١٩٩٠م بدارفور)

(المصدر: طلاب التربية العملية - كلية التربية بجامعة زالنجي - الدفعة الخامسة)

هذه الإحصائية قبل العام(١٩٩٠م) في ولاية دارفور الكبرى، ومما يلاحظ له أن هذه النسبة قد ارتفعت إلى معدل أكبر بعد العام ١٩٩٠م وبعد أن شجعت سياسة الدولة وتوجيهاتها نحو بناء المجتمع القرآني في السودان وكذلك العمل الجاد على تحفيز طلاب القرآن وحملة القرآن بالشهادات التي تعادل درجة البكالوريوس مما شجع كثيراً على رفع نسبة عدد الخلاوى ودور المؤمنات والحلقات النسائية في البيوت ودروس الخلاوى. وهذا كله بفضل التوجه وسياسة الدولة الرامية ببناء المجتمع وصياغته على القرآن منهجاً وسلوكاً.

ومن ثم كان مجتمع دارفور سابقاً بالخيرات في رفع نسبة تلك المؤسسات لترفع نسبة قبول المتعلمين بتلك المؤسسات دون أن تحدد لهم سن القبول أو يحدد لهم مستوى حفظ معين ولكن الدارس أو المتعلم يرتاد الخلوة أو الدور التي ينتهي إليها لتلقي القرآن الكريم وعلومه.

وهذه هي إحصائية الخلاوى بعد العام ١٩٩٠م

الولاية	عدد الخلاوى	عدد الدور	عدد البيوتات الخاصة	دروس المساجد	خلاوى كبيرة	الجملة
غرب دارفور	٣١٥	٨٧	١٧	٩٨	-	٥١٧
جنوب دارفور	٤١١	١٠٢	٦١	١٠٧	-	٦٨١
شمال دارفور	٥٠٣	١٣٥	٨٠	١٤١	-	٨٥٩
الجملة	١٢٢٩	٣٢٤	١٦٨	٣٤٦	-	٢٠٥٧

(جدول رقم(٢) يوضح عدد الخلاوى والدور بعد العام١٩٩٠م بدارفور)
(المصدر: طلاب التربية العملية - كلية التربية بجامعة زالنجي - الدفعة الخامسة)

- هذه الإحصائية لكل حدود الولاية بعد العام(١٩٩٠ ٢٠٠٤م).
- كل إحصائيات الخلاوى من الصبيان عدا الدور والبيوتات.
- جملة هذه الإحصائيات قبل النزوح والصراعات.

عينة البحث:

تمثل عينة البحث التي أخذت من جملة إحصائيات الخلاوى بغرب دارفور المتمثل في عدد(٥١٧) من خلاوى ودور وبيوتات بعد العام(١٩٩٠ إلى نهاية٢٠٠٤م) على النحو التالي:

الخلاوى	٣١٥	جملة طلابها من الصبيان.
الدور	٨٧	جملة طلابها من الفتيات فقط.
البيوتات	١٧	جملة طلابها من النساء كبار السن.
الدروس في المساجد	٩٨	جملة طلابها من الرجال بمختلف الأعمار.
الجملة	٥١٧	إحصائية بعد العام١٩٩٠م.

جدول رقم(٣) يوضح عدد الخلاوى والدور بولاية غرب دارفور عينة البحث بعد العام١٩٩٠م

البيان	العدد	نسبة الدارسين	نوع الدارسين
الخلاوى	٣١٥	٢٥ ٤٠	ذكور(صبيان)

الدور	٨٧	١٥ ٣٥	إناث(فتيات)
حلقات البيوت	١٧	٢٢ ٣٠	نساء(فوق ال٤٠سنة)
دروس المساجد	٩٨	٣٠ - ٥٥	رجال(مختلف الأعمار)

أداة البحث:

قام الباحث باستخدام جمع المعلومات عن طريق الاستبانة المفتوحة التي بموجبها وجهت بعض الأسئلة المطلوبة والبيانات الإحصائية لجهات الاختصاص بالولاية(إدارة العقيدة والدعوة بكل ولاية أو من ينوب عنهم).

الأسلوب الإحصائي:

استخدم الباحث النسبة المئوية في بيان وتحليل النتائج التي توصل إليها من خلال أداة البحث المقدمة للدراسة.

المبحث الرابع

تحليل نتائج البحث والتوصيات

في هذا المبحث يعرض الباحث تحليلاً إحصائياً حول أداة البحث الاستبيان الذي قدمه في ثلاثة محاور حول الإدارة الأهلية كعنصر أساس ورئيس في الإدارة السياسية، والقانونية، والتعليمية، والتربوية في مجتمع دارفور، وكما يتناول المبحث موقف المجتمع النازح بعد الاستقرار في المعسكرات وضعف نسبة طلاب الخلاوى والعزوف عن المنهج التربوي القرآني.

الرأي العام حول الإدارة الأهلية ودورها التربوي والإداري بدارفور

الفئة المستهدفة للاستطلاع	ذكور	إناث	العدد الكلي
شيوخ كبار السن	٤٢	٢٣	٦٥
أساتذة جامعات	٢١	١٣	٣٤
أساتذة التعليم العام	٥٦	٤٨	١٠٤
موظفين(مؤسسات مختلفة)	٣٩	٢٧	٦٦
طلاب جامعات	١٢٠	١٥٤	٢٧٤
طلاب ثانوي	٨٨	٩٦	١٨٤
أعمال حرة	٢٨	١٩	٤٧
الجملة	٣٩٤	٣٨٠	٧٧٤

(جدول رقم(٥)يوضح إحصائية الاستبيان حول المحاور الثلاث أدناه)

وقد تمثل الاستبيان في ثلاثة محاور استطلاعية تعنى بالأسئلة التالية:-

١. لعبت الإدارة الأهلية دوراً كبيراً في تربية المجتمع تربية دينية قرآنية في دارفور منذ نشأتها إلى العام(٢٠٠٠م).
٢. ساهمت الإدارة الأهلية في تربية المجتمع وجمعه بعد عام(٢٠٠١م) بصورة فاعلة وملموسة.
٣. دور الإدارة الأهلية في دارفور كان سالباً بعد نشأة الصراعات الأخيرة في دارفور.

ومن خلال الاستفتاء حول ثلاثة محاور والتي ورد ذكرها وجد الباحث النتائج التالية:

المحور الأول: وجد الباحث أن نسبة(٨٤%) يوافقون على أن الإدارة الأهلية لعبت دوراً كبيراً في تربية المجتمع تربية قرآنية دينية جيلاً عن جيل إلى العام(٢٠٠٠ ٢٠٠١م) بدرجة عالية من السيطرة والنفوذ على الرغم من الصراعات والحروبات القديمة التي نشبت بين القبائل المختلفة في دارفور في أزمات سابقة ومختلفة على سبيل المثال لا الحصر:-

١. حرب بني هلبة والرزيقات عام ١٩٧٥م ولاية جنوب دارفور.
٢. حرب التعايشة والسلامات عام ١٩٨٨م ولاية جنوب دارفور.
٣. حرب الرزيقات والمسيرية عام ١٩٧٩م ولاية جنوب دارفور.
٤. حرب بني هلبة والرزيقات عام ١٩٨٢ ولاية جنوب دارفور.
٥. حرب البرتي والزيادية ضد الكبابيش عام ١٩٨٣م ولاية شمال دارفور.
٦. حرب الزغاوة والقمر عام ١٩٨٨م ولاية شمال دارفور.
٧. حرب الزغاوة والمراريت عام ١٩٩٠م ولاية شمال دارفور.
٨. حرب الزغاوة والقمر عام ١٩٨٨م ولاية غرب دارفور.
٩. حرب الفور وبعض القبائل العربية عام ١٩٨٧م جميع ولايات دارفور.

فبالرغم من كل مرارات الماضي وآلامه استطاعت الإدارة الأهلية أن تقوم بالدور السياسي، والإداري، والتربوي في مجتمع دارفور حيث إن نسبة الموافقة هذه تعتبر كبيرة يمكن أن تدحض الآراء الأخرى من الاستفتاء التي تمثلت في عدم الموافقة بحوالي(٧%) ونسبة المترددين على هذا المحور(٩%). فهاتين النسبتين مع وجود المبررات التي يمكن أن تساق نحوهم إلا أن قراءة الواقع للمجتمع تشير إلى ما أثبتته النسبة الأولى من حسن دراية وإدارة مقبولة للإدارة الأهلية في الفترة السابقة.

المحور الثاني:

بعد عملية الاستطلاع على المحور الثاني وجد الباحث أن نسبة(٨١%) لا يوافقون عليه وأن نسبة(١١%) مترددون عليه وأن نسبة(٨%) فقط يوافقون.

ويشير الباحث إلى أن هذه النسبة بالتأكيد أوضحت ضعف الإدارة الأهلية وبداية شرارة الصراع القبلي الذي أصبحت تعيشه دارفور الآن مما أضعف نفوذ وسلطان الإدارة الأهلية السياسي، والإداري، والتربوي في مجتمع دارفور.

وقد تدعم هذه النسبة النتائج التي توصل إليها الباحث لانخفاض نسبة عدد الدور والخلاوى بعد العام(٢٠٠٣م) بولايات دارفور وهذا ما ينعكس سلباً على التربية القرآنية في دارفور حيث كانت على النحو التالي:

الولاية	عدد الخلاوى	عدد الدور	حلقات البيوت	الجملة
غرب دارفور	٩١	١٣	٨	١٢٨
جنوب دارفور	١٠٣	٢٢	١٣	١٥٩
شمال دارفور	٩٨	١٩	١١	١٢٤
الجمـــلة	٢٩٢	٥٤	٣٢	٤٣٢

(جدول رقم(٦) يوضح آخر إحصائية أثناء النزوح من القرى والالتفاف حول المدن٢٠٠٨م) (المصدر: مقابلات شخصية)

وهذه النسب لا توجد في القرى بل تمركزت في المدن الكبيرة بأحيائها المترامية بجانب رئاسة المحافظات التي تتبع لرئاسة الولاية إن وجد، وهذا ما توصل إليه الباحث، بجانب أن هذه الدروس والحلقات تتوقف أحياناً لأسباب مختلفة منها الاجتماعية ومنها الأمنية ثم تستأنف تارةً أخرى.

المحور الثالث:

وعلى هذا المحور وجد الباحث أن نسبة(٨٦%)يوافقون وأن نسبة(١٠%) لا يوافقون وأن نسبة(٤%) مترددون. ومما يضح للباحث أن ارتفاع نسبة الموافقة على أن الإدارة الأهلية كانت سالبة أثناء نشوب الصراع القبلي في دارفور وتعود لما آلت إليه الإدارة الأهلية من تدهور وضعف نفوذها وسيطرتها على المجتمع. إذ أن الإدارة الأهلية لا تستطيع أن تقوم بحل أبسط المشكلات بين أفراد المجتمع الواحد أو القبيلة الواحدة ناهيك عن فرض النظم التربوية ليهتدي بها المترددين ومجرمي النهب والشواذ في أخلاقهم بين أفراد القبيلة.

فكان ضعف واضمحلال المؤسسات التربوية القرآنية نتيجةً لعدد من الأسباب المحتملة إما أن تكون نتجت لإهمال حقوق المعلم(الشيخ الذي يقوم بعملية

التدريس) وهذه الحقوق يمكن أن تكون في كل الجوانب الأمنية، والاجتماعية، والاقتصادية، والزراعية، وغيرها.

أو بانفلات الأمر عن الإدارة الأهلية كلية، أصبح استهداف المجتمع في جوانبه المختلفة واختفاء إدارة وقانون وتربية الإدارة الأهلية عن الأفراد والأجيال التي تأثرت بالغزو الفكري، والاستلاب الثقافي، والفضائيات التي أدت إلى ضعف الإدارة الأهلية.

وهذا ما أشار إليه الباحث في الفرض الذي ينص على أن الإدارة الأهلية ضعفت في سياسة بسط الأمن والاستقرار لإنسان دارفور وانعكس الأمر مباشرةً على نظم التربية القرآنية.

ومن خلال عرض الفرض الذي يتناول دور المنظمات الأجنبية العاملة في دارفور والتي تشهد مجموعة أعمال مصاحبة، مغطاة بلفظ (الطوعي)، ولفظة (الإغاثات)، وتقديم (العون الإنساني). فقد أثبتت المعلومات التي وردت أن الدور الذي لعبته المنظمات أكبر من توافر دعم وإغاثات. ومما يؤكده الباحث بما هو واقع اشترطت بعض المنظمات العاملة على العاملين ارتداء الشعار(كالصليب الأحمر) المبني على فلسفة مقصودة وهي فك ارتباط الإسلام بمسمى دارفور أو إنسان دارفور.

والأمر الذي أحدث تغيراً مفاجئاً وتحولاً خطيراً في الطفل النازح هو وجود صالات اللهو المغلقة في دارفور وبجانب صالات الرقص وجود أشرطة الفيديو التي تعرض برامج ـ لا حول ولا قوة إلا بالله ـ للطفل البسيط في استيعابها وليعكف الطفل طوال فتراته في المشاهدة ومن ثم التقليد وبداية شارة الانحراف والعزوف عن دراسة القرآن الكريم وتجويده وحفظه، وقد اتضح للباحث بعد النزوح والإقامة في المعسكرات في دارفور إن التعليم القرآني أصبح على النحو التالي:

البيان	العدد	أثناء النزوح	بعد النزوح	ملاحظات
الخلاوى	٩١	٩١	٣٤	سبب الضعف انزواء عدد من الأطفال إلى برامج صالات الترفيه.
دور المؤمنات	١٣	١٣	٥	نفس السبب أعلاه(صالات الأفلام والفضائيات)
حلقات البيوت	٨	٨	٧	انشغل جزء من هؤلاء ببرامج

				ارتبطت بالمعسكرات والمدينة.
دروس	١٦	١٦	١٦	هي ثابتة لأن معظم حضورها من الشيوخ كبار السن.

(جدول رقم(٧) يوضح الأوضاع بالمؤسسات القرآنية بدارفور أثناء وبعد النزوح والاستقرار بالمعسكرات)[١].(المصدر: مقابلات شخصية)

نتائج الدراسة: يرى الباحث من خلال البيانات التي وردت في موضوع الدراسة القائم على الصراعات القبلية والنزوح، أنها أدت إلى تدني التربية القرآنية بدارفور أن هذه الأسباب تتمحور في الآتي:-

١. أثرت الصراعات القبلية كثيراً في المحافظة على النمط القرآني الذي تربى عليه مجتمع دارفور وقد كان لها الدور الأكبر في تدني التربية القرآنية إثر الهجرات التي تركت من ورائها آثاراً سالبة غيرت من مسار ترابط المجتمع بصورته الأولى.
٢. الأطماع الأجنبية والسيادة والتسلط الأجنبي على السودان وجد ضالته من بوابة دارفور ومن ثم طريقه لإيقاف البنية التربوية - التي قامت على المنهج السماوي وتغيير المجتمع الدارفوري.
٣. كان للجوانب الاقتصادية أثر في أطماع الدول الغربية حيث إن هنالك منظمات أجنبية تقوم بعمليات الدراسات والبحث في مجاهل دارفور وخاصة في منطقة جبل مرة، بجانب مصانع عصر الفاكهة المتحركة التي أدخلت في مناطق طرة، وقلول، وروكرو، والعديد من المناطق ذات الإنتاج العالي لعدد من أنواع الفواكه المختلفة.
٤. تمثل التربية القرآنية المنهج التربوي الذي نشأ عليه إنسان دارفور وتعد التربية القرآنية ومؤسساتها في دارفور هي المنفذ العلمي والثقافي لإنسان دارفور ويعتبر النزوح وآثاره الجانبية عنصراً سالباً في ضياع شخصية إنسان دارفور ومن ثم تغيير كل الملامح التي تنتمي إلى اللوح والدواية.
٥. عمِلَ الغزو الفكري والفضائيات على فك الترابط الأسري الجماعي، وانحلال المجتمع حيث لعبت الفضائيات دوراً كبيراً في تغيير ملامح المجتمع المختلفة بصورة عامة وإنسان دارفور(النازح) بصورة خاصة، حيث أثرت على سلوك

[١] هذه البيانات حتى يوليو من العام ٢٠٠٩م.

الأبناء وضرب على أنماط الإدارات بشتى أنواعها وأصعدتها المختلفة، وضربة فككت سياج الانضباط والطاعة بشكلها وأدبياتها السمحة.

٦. ضعف تأثير تربية الشارع الدارفوري بصورته التقليدية التي ألفها الناس، إذ إن النشيء خرج من مألوف الولاء والطاعة ومن دائرة رئيس القبيلة أو العمدة أو الشرتاي وبالتالي أصبح لا يوجد شخص يقوِّم سلوك الأفراد نحو الأفضل.

٧. فقدت الإدارة الأهلية الأرضية الصلبة التي تتمتع بها سواء في القرية أو الفريق من العشيرة في المعسكرات، وازداد الضغط على الإدارة الأهلية من قبل السلطات التي تريد التعاون معها في إدارة شئون الأزمة. ومن ثم تذبذب الثقة والاحترام الذي يتمتع به قادة الإدارة الأهلية سابقاً، ومن ناحية عدم توفيقها في تنفيذ برامج الحكومة من قبل باب السياسة ومن ناحية توقيفها للبرامج من قبل النازحين والعشيرة بدارفور.

التوصيات:

يوصي الباحث بالآتي:-

١. إعادة بناء الإدارة الأهلية بما يتوافق مع الصحوة العلمية، وتدريبهم على أساليب الإدارة الحديثة.

٢. بذل الجهود من أجل بناء ما دمرته الحرب وإعادة بناء الخلاوى والدور والمساجد التي تعرضت للزوال إثر الحرب.

٣. القيام بأسلوب الدعوة الشاملة وبناء وصياغة مجتمع دارفور على النهج الذي عرف به وتربى عليه سابقاً وهو القرآن الكريم.